مجلة كلية

الدعوة الإسلامية

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة

العدد السادس
1989م.

اختصاص

الأستاذ: محمد القصاطي

اختصاص، في اللغة، مصدر الفعل (اختص). ويستعمل لازماً، نحو: (اختص الشيءُ) بمعنى: (خص) وهو (نقيض عمّ). ونحو: (اختص المرءُ) بمعنى: (افتقر). ويستعمل متعدياً بنفسه إلى مفعول، نحو: (اختص الشيءَ) بمعنى: (اصطفاه واختاره). ومن ذلك (حادثة الموت تختص كل إنسان). وقد يستعمل متعدياً إلى مفعول بالباء نحو: (اختص بالشيء) بمعنى: (انفرد به). وقد يستعمل متعدياً إلى المفعول الثاني بالباء أو اللام، نحو: (اختص فلاناً بكذا) بمعنى: (خصه به دون سواه). ونحو: (اختص الشيء لنفسه) بمعنى (خصها به دون سواها).

وقد جاء الفعل (يختص) في القرآن الكريم، في موضعين بمعنى (يخصه به دون سواه) متعد إلى أحد المفعولين بالباء. قال الله (عز وجل) في سورة (البقرة/ 105): **﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب، ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم﴾**. وقال الله (تبارك وتعالى) في سورة (آل عمران/ 73): ـ ردّاً على كبراء اليهود الذين دعوا بعض قومهم إلى أن يتبعوا النبي ﷺ فيما جاء به من التعاليم أول النهار ويكفروا آخره ليشككوا المسلمين في دينهم ـ **﴿يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾** وقد فسرت الرحمة ـ ههنا ـ بالنبوة والقرآن والإسلام والهداية والأنعام والعفو.

ويستعمل (الاختصاص) ـ في العقيدة الإسلامية ـ بقلة في حق الله (سبحانه وتعالى). جاء في (شرح الخريدة البهية) للدردير ـ رحمه الله ـ «وأما الشكر لغة، فهو الحمد عرفا، وأما الشكر عرفاً فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه من عقل وسمع وغيرهما إلى ما خلق لأجله، وهو أخص مطلقاً من الحمد والشكر اللغوي لاختصاصه بالله تعالى، وبكونه في مقابلة النعم التي على الشاكر فقط».

وقد يعبر في حق الله ـ سبحانه وتعالى ـ بلفظ (الاستئثار) بأمور كالعلم بالغيب والعلم بالروح، والعلم بالساعة. جاء في تفسير القرطبي لآيتي سورة (الجن/ 26، 27) ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا**﴾ قال العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه ثم استثنى من ارتضاه من الرسل فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم».

وقال الشنقيطي ـ رحمه الله ـ في تفسيرة لآية سورة (الأنعام/ 59): ﴿**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو، ويعلم ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها، ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين**﴾ «ووجه تكفير بعض أهل العلم لمن يدعى الاطلاع على الغيب أنه ادعى لنفسه ما استأثر الله تعالى به دون خلقه، وكذب القرآن الوارد بذلك».

وقد يطلق (الاختصاص) على خصوصيات النبي ﷺ جاء في تفسير القرطبي لقول الله تعالى: ﴿**خالصة لك**﴾ من سورة (الأحزاب/ 50) «خص الله تعالى رسوله في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد ـ من باب الفرض والتحريم والتحليل ـ مزية على الأمة وهبت له، ومرتبة خص بها، ففرضت عليه أشياء لم تحلل لهم؛ منها متفق عليه ومختلف فيه» ومن خصوصياته ﷺ:

1 - عموم رسالته. قال الله (جل وعلا) في سورة (سبأ/ 28): ﴿**وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾.

2 - ختم النبوة. قال الله (جل ثناؤه) في سورة (الأحزاب/ 40): ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما**﴾.

3 - وجوب قيام الليل عليه. قال الله (عز وجل) في سورة (المزمل/ 1، 2، 3): ﴿**يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً نصفه أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلاً**﴾.

4 - تحريم الزكاة عليه وعلى آله لقوله ﷺ للحسن أو الحسين: «أما علمت أن آل محمد ﷺ لا يأكلون الصدقة».

وقد يطلقون (الاختصاص) على 1 - المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، فتختص بفضل الصلاة فيها على ما سواها، وبالتفاوت فيما بينها. قال ﷺ: «الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة».

2 - كما تختص بشد الرحال إليها. قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام، ومسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى».

وقد يطلق (الاختصاص) على:

1 - اختصاص ليلة القدر بنزول القرآن فيها؛ قال الله (سبحانه وتعالى) في سورة (القدر/ 1): ﴿**إنا أنزلناه في ليلة القدر**﴾.

2 - اختصاص رمضان بنزول القرآن فيه، لاشتماله على ليلة القدر. قال الله (جل ذكره) في سورة (البقرة/ 184): ﴿**شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن..**﴾.

3 - اختصاص الأشهر الحرم (ذو القعدة، وذو الحجة والمحرم ورجب) بتحريم القتال فيها واجتناب الذنوب. قال الله (عز وجل) في سورة (التوبة/ 36): ﴿**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم، ذلك الدين القيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة، واعلموا أن الله مع المتقين**﴾.

ومن (الاختصاص) اختصاص قضائي فتختص كل محكمة بسلطة قضائية تبعاً لمقرها أو لنوع القضية. وهو محلي إذا اختص بالمكان، ونوعي إذا اختص بالموضوع.

والاختصاص، في النحو، أسلوب من أساليب العربية، وقد عرفه صاحب النحو الوافي في المسألة (139 من ج 4): «إصدار حكم على ضمير لغير الغائب، بعده اسم ظاهر، معرفة، معناه معنى ذلك الضمير، مع تخصيص هذا الحكم بالمعرفة وقصره عليها: فأركانه:

1 - ضمير لغير الغائب.

2 - اسم ظاهر يطلق عليه مصطلح (مختص).

3 - حكم معنوي وقع على الضمير.

4 - امتداد ذلك الحكم إلى الاسم الظاهر، واختصاصه به، وقصره عليه أنواع المختص:

1 - الاسم الظاهر سوى (أي وأية) ويكون منصوباً بفعل محذوف وجوباً تقديره (أخص) على الأغلب. وقد يأتي الاسم الظاهر:

(أ) معرفاً بأل، نحو: أنتَ ـ الطبيبَ ـ لا تتوانى في خدمة المرضى.

(ب) معرفاً بالإضافة؛ كقول النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه صدقة».

(جـ) علماً، نحو: عليك ـ عليًّا ـ اثنى الحاضرون، وهو قليل الاستعمال.

2 - أيُّها وأيتُها، وتبنيان على الضم في محل نصب، وتستعملان للمذكر والمؤنث ـ على الترتيب ـ إفراداً وتثنية وجمعاً، ويليهما اسم معرف (بأل) التي للعهد الحضوري، ويعرب ذلك الاسم نعتاً لأي وأية، نحو:

أنا ـ أيُّها الرجل ـ أحب الجد ونحن ـ أيُّها الرجلان ـ نحب الجد اللهم تقبل صلاتنا ـ أيتُها الجماعة واللهم تقبل صلاتنا ـ أيُّها ـ الجماعات وهذا النوع من الاختصاص نادر في الاستعمال لشدة التباسه بالنداء، وإن كان بين الاختصاص والنداء فروق لفظية ومعنوية.

الفروق اللفظية

1 - فالمختص لا يسبق بحرف نداء كالمنادى.

2 - وموقع المختص درج الكلام، خلافاً للمنادى في شائع الاستعمال.

3 - المختص يتقدمه ضمير، ولا يكون ذلك في النداء.

4 - المختص منصوب دائماً، (اللهم إلاَّ أيّ وأية)، ولا يبنى من المنادى إلا ما كان مفرداً علماً أو نكرة مقصودة.

5 - يقل كون المختص علماً، وهو شائع في أسلوب النداء.

6 - المختص يطرد اقترانه بأل خلافاً للمنادى.

7 - المختص لا يكون نكرة ولا اسم إشارة ولا اسم موصول ولا ضميراً خلافاً للمنادى.

8 - المختص متى كان (أي أو أية) لا ينعت على أنه اسم إشارة خلافاً لورودهما في أسلوب النداء.

9 - (أي) مختصة بالمذكر في الاختصاص، وفي النداء قد تستعمل للمؤنث.

10 - المختص لا يرخم ـ اختياراً ـ ولا يستغاث به، ولا يندب خلافاً للمنادى.

11 - عامل الاختصاص فعل محذوف غير معوّض، ولكن عامل النداء فعل محذوف معوض بحرف النداء.

الفروق المعنوية

1 - جملة الاختصاص خبر، وجملة النداء إنشاء.

2 - الغرض الأصلي للاختصاص قصر المعنى على الاسم المعرفة، وقد يكون الغرض هو الفخر، نحو: لنا ـ معشر المسلمين ـ كتاب سماوي. أو التواضع، نحو: أنا ـ العبدَ الفقير إلى ربه ـ أسأله المغفرة أو التفصيل، نحو: أنتم ـ الثلاثة ـ جئتم مبكرين ولكنه غرض النداء: طلب الإقبال.

3 - جملة الاختصاص حالية وقد تكون معترضة، أما جملة النداء فابتدائية.

المصادر والمراجع

(1) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ط. مطبعة المدني، ج 2، ص 178.

(2) الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، ط. دار الشام للتراث، ج 2 وج 4 وج 14 ص 211، وج 19 ص 26.

(3) حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط. دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج 3.

(4) شرح الخريدة البهية لسيدي أحمد الدردير بهامش (حاشية على شرح الخريدة البهية) لسيدي أحمد الصاوي، ط. مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ص 11.

(5) شرح المفصل ليعيش بن علي بن يعيش، طـ. عالم الكتب ـ بيروت، ج 2.
(6) صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، ج 2 ص 76، 156.
(7) قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم للحسين بن محمد الدامغاني طـ. دار العلم للملايين.
(8) كتاب سيبويه لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ط. عالم الكتب ـ بيرون ج2.
(9) لسان العرب المحيط لمحمد بن مكرم بن منظور، طـ. دار لسان العرب ـ بيروت (إعداد وتصنيف يوسف خياط) المجلد (1).
(10) معجم النحو، لعبد الغني الدقر، طـ. الثانية.
(11) المعجم الوسيط عمل مجمع اللغة العربية بالقاهرة د. إبراهيم أنيس وآخرين طـ. دار المعارف (1400 هـ = 1980 م.) ج 1.
(12) موسوعة الفقه الإسلامي، إصدار المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ج 4.
(13) النحو الوافي لعباس حسن، طـ. دار المعارف بمصر ج 4.